shwaihy
19-9-2010

# AL-MAWRID

EDITOR -IN-CHIEF
DR.MOHAMMAD HUSSAIN AL-AARAJI
VOLUME - 35 - NUMBER -3- 2008

السعر: ٥٠٠ دينار

# الدكتور عناد غزوان
# ورؤيته النقدية في الشعر الجاهلي

د. سعيد حسون
جامعة بغداد/ كلية اللغات

**مدخل**

كان الدكتور المرحوم عناد غزوان واحداً من أعلام النقد والأدب المحدثين، الذين اهتموا بالشعر والأدب، تحقيقاً ونقداً، إذ ترك لنا تراثاً ثرًّا، سجل فيه بأمانته العلمية المعهودة، ملاحظات غزيرة تكشف عن حسٍ تأريخي وفني بنقد الشعر وتأويله.

والدكتور غزوان، فضلاً عن كونه أكاديميًّا لامعًا ومحبوبًا، كان ناقدا تراثياً وحداثيا يشار اليه ضمن قائمة الطليعة من النقاد والأدباء المحدثين في عالمنا العربي، ذلك بما انجزه من مؤلفات وبحوث علمية رصينة، امتدت اهتماماتها لتشمل أصول القصيدة العربية القديمة، وتطورها الفكري والفني مروراً بالاتجاهات النقدية التي تناولتها وصفاً وتحقيقاً وقراءة[1].

وقد اهتدى الناقد غزوان بحسه التاريخي والفني للشعر العربي، ومعرفته الواسعة به، وبمسالك النقاد أو أدواتهم في قراءته الى تفسير بعض ظواهره، تفسيراً نفسياً، فهو يعنى بالمقارنة النفسية، بوصفها صوتاً لا غنى عنه للباحث أو لقارئ الشعر.

ويرى أن كثيراً من تلك الظواهر الفنية، لاسيما في النص القديم، قد تحولت عند كبار شعراء العرب القدماء، الى لوحات فنية، وقصصية رائعة سجل خلالها الشعراء أحاسيسهم النفسية، ومواقفهم من الحياة، والموت، والناس في بيئتهم فكانت قصائدهم أنموذجاً إبداعياً فريداً.

وقد حظيت تلك الجهود لاستاذنا الراحل، باهتمام الدارسين، لتواصله في النشر والمشاركة في المنتديات الأدبية، داخل العراق وخارجه إذ كان على صلة بعدد من الجامعات العربية، تدريساً واستشارة، كما تبادل معها المطبوعات وأسهم في الاشراف على الرسائل العليا لطلبتها والمناقشة لها.

وقد أُتيحت له أيضاً فرص كثيرة لنشر دراساته، كتباً وبحوثاً ومحاضرات وإغنائها بالاضافة والتحقيق والمراجعة، فأخرجها جميعاً الى النور في حياته رحمه الله.

وإذا كانت دراسة أو تحقيق الاتجاه النفسي في النقد عند الدكتور عناد غزوان مهمة، فإن دراسة جهوده الأدبية والنقدية التراثية الأخرى، تشكل مطلباً ضرورياً، نأمل أن ينهض بها باحثون آخرون، ضمن عناياتهم بتراث هذا الناقد الجليل، وأجد أنه آن الأوان لتناول تلك الجهود أو دراستها دراسة أكاديمية، في كلياتنا الأدبية، وهي ليست بعيدة عن ذلك كما أظن.

بعد ذلك، يعدُّ الدكتور غزوان واحداً من النقاد البارزين من جيله، في تناوله للشعر، تناولاً نفسياً، مثلما تألق في قراءاته الحديثة. وقد سعى الى تحديد منطلقات وجدها أكثر جرأة في كشف النص القديم واضاءته لما في هذا النص من قدرة متجددة على البوح لثراء أنموذجه لغةً وأصالةً فنية وانسانية، فكان مجوداً

في إثراء دلالات هذا الشـــعر، وكشـــف المغيب والمعلن منها، لمعرفته الدقيقة بالحدود التي ينبغي، أن تميز الشعر عن الواقـــع، ولذا نراه، قـــد ترك لنا إتجاهاً ــ كما كان يحلو له تســـميته ــ لقراءة هذا الشعر يقوم عنصره الأول على الاعتقاد بأن جوهر العمل الشعري هو تميزه من واقع الحياة أولاً، وأنه تعبـــير جمالي عن هذا الواقع، او رؤية جمالية له. وقـــد كان في ما ســـيأتي من إشارات ومواقف نقدية، من نقـــاد عصره المجودين في وضوح الرؤية، أو التصور لطبيعة الشـــعر، إذ نص صراحـــةً، أن الفن الشعري في المقام الأول بناء لغوي تخلق فيه اللغة خلقاً جديداً.

وهو يكرر ذلك في مواطن عدة، من بحوثه ودراساته، داعياً إلى التدقيق في لغة النص، حتى أنه استرسل في أحـــد بحوثه ودعا الى فك مغاليق هذا النص الشـــعري، من خلال ترويضه، على طريقة الصوفية، كي يضمن فك مغاليقه وخفاياه وكشف طبيعة رموزه الموضوعية، وبناه الفنية.

وسنحـــاول في هذا البحـــث تأشـــير ملامح هذا الاتجاه وصوره، من خلال قـــراءة متأنية لتراث هذا الناقـــد الجليل، ورأيتُ أن بحث مثل هذا الموضوع، بما يختص باتجاهه النقـــدي والأدبي أمر يمكن أن يطول، ويتشـــعب، ذلك لما فيه من غزارة وســـعة، فوجدت أن أتناول اتجاهه النقـــدي، الذي يســـتعين بالمقاربة النفسية في تفســـير النص وتأويله، وهو الجانب الذي كثر اهتمامي به. وقدمت في دراستي، نبـــذة عن تطور الاتجاه النفسي في النقد الحديث، ورأيتُ في ذلك صورة لاستقرار هذا الاتجاه الذي بزغ جنباً الى جنب، مع تشـــكل اللبـــنات الأولى للنقد، إذ كانت الملاحظة النفسية حاضرة في وجدان المبدع في تأويله لصوره، وعند الناقـــد، الذي يحتكم الى لغة النص، وهو يقوم بممارسة عمله الذي أقل ما يوصف، بأنه فن تجنب ســـوء الفهم لرؤى المبدع، وهو ينسج قصيدته أو لوحـــته الفنية، ثم درست الأصول والبواعث التي شكلت ملامح الاتجاه النفسي في النقد عند الدكتور عناد غزوان، ومقترباته في القراءة وطبيعة التجربة الشـــعرية التي شـــكلت هاجســـه الأول في التأويل والقراءة.

## الاتجاه النفسي عند الدكتور غزوان:

### ١ ـ الأصول التكوينية للبناء الشعري

في ظني أن الدكتور عناد غزوان حدد رؤيته المبكرة لاتجاهه النفسي في تأويل الشعر أو قراءته عندما وقـــف على بـــعض موضوعات القصيدة الجاهلية في باكورة مؤلفاته(المرثاة الغزلية في الشعر العربي) التي نشرها عام ١٩٧٤، إذ حـــاول انتهاج طريقة أو اتجاه ينمُ عن اهتمام خاص لدى الباحـــث بـــالعناية بالأصول التكوينية النفسية للبناء الشعري، وغاياته. فالقصيدة الجاهلية في رأيه قد انتزعت صورها الشعرية الفنية والواقـــعية "من صميم البيئة الصحراوية بكل ما فيها من تناقض في القـــيم الاجتماعية وتطرف في الجوانب النفسية"[٢].

فالنص الجاهلي مخلوق فني انضجته البـــيئة العربـــية الصحراوية، فتلون بـــتلاوينها، وتعددت اغراضه تبـــعاً لهذا التأثير. كما ان البيئة الصحراوية نفسها قد خلقـــت الشـــاعر الجاهلي وجعلته "يســـتجيب لاحـــداث عصره، وهو يعبر عن شخصيته القبلية العامة. أو تعبيراً عن شـــخصيته الفردية"[٣]. وتبعاً لذلك بدا للناقد غزوان ان الموروث الشعري القديم عند العرب، الذي تمثله القصيدة الجاهلية أصدق تمثيل، قد استوعب أصول هذه العلاقة على نحو بدت القصيدة الجاهلية من خلاله أثراً فنياً، أو مرآة عاكسة لكثير من جوانب البيئة العربية بما فيها من قسوة النظام القبلي، والاشـــكال والبـــيئات الاجتماعية الصارمة، فضلاً عن ميول الذات الفردية بحكم انتقـــاليتها، وعشقها للحـــرية والانطلاق. لقـــد كان هذا التأثير في رأي

الباحث يحمل جانبين: الأول قد تجسد في شكل القصيدة العربية، من حيث بناؤها الفني في تعدد اغراضها، والثاني في نغماتها الداخلية التي "تخدم غرضاً نفسياً وآخر اجتماعياً"[٤].

وعلى هذا النحو استقرأ الدكتور غزوان اطراد رنة الحزن والألم في غرض الغزل والرثاء في القصيدة الجاهلية، ووجد ان ذلك يعبّر عن إنعكاسات اجتماعية ونفسسية، ولكنه لم يطل في ذلك كثيراً فيستغرق في التفسير الاجتماعي للشعر، بل انه آثر ان يبدأ من الإتجاه الصحيح، فيستقري في الشعر خصوصية التجربة الشعرية، ولم ينسَ ان يشير الى بعض تلاوينها المستمدة من الواقع البيئي والاجتماعي والنفسي والحضاري.

لذا تعدُّ محاولة الدكتور عناد غزوان نابعة من رؤية شاملة في البحث عن جذور تكوينية النص، في شقيها المجتمع والنفس الابداعية، كما انها محاولة تعتمد على "التحليل الفني والوقوف على الجوانب النفسية" ،لفهم الغرض الشعري وتجربته الشعرية، فضلاً عن فهم صورها واهميتها في تطور المضمون الشعري في القصيدة العربية[٥].

فالناقد مع اقراره بتعدد اغراض القصيدة، استجابة لتأثير البيئة وللبنيات الاجتماعية السائدة في مجتمع الشاعر، الا أنه لم ينظر اليها نظرة تجزيئية، بل انه وجد ان البناء الفني للقصيدة العربية القديمة، قد كشف عن امتزاج ذاتيّ الشاعر الفردية والقبلية وذات القبيلة" [٦]. فهو يرى أن المقدمة الغزلية بمشاهدها الطللية الأخرى صورة من صور الشخصية الفردية للشاعر. أما الأغراض الأخرى من مدح وهجاء وفخر قبلي وغير ذلك. فهي صورة من صور الشخصية القبلية. وإذا اضفنا الى ذلك أن القصيدة العربية تمثل الشعر الغنائي أصدق تمثيل، إذ تتجلى شخصية صاحبها بكل وضوح. " ادركنا مدى العلاقة الكامنة في تعدد أغراض القصيدة وترجحها بين الشخصية الفردية والقبلية"[٧].

## ٢ . الغزل والرثاء

ويتجلى اتجاه الدكتور غزوان النفسي في وقوفه على الجوانب النفسية في النص الجاهلي بشكل خاص، وتتبعه لظهور هذه الجوانب في غرضين من أغراضه، هما الرثاء والغزل. فالعلاقة بينهما، كما يرى الباحث"وثيقة لأنها تعبر عن جوانب ذاتية لمظهر نفسي واحد وان اختلفت مصطلحاته واسماؤه[٨]. ويقرر الباحث ان مشاعر الحنين لدى الشاعر الجاهلي الى ديار الأحبة، قد شكلت إحدى البواعث الرئيسة في نشأة شعر الوقوف على الاطلال والبكاء عليها في شعرنا القديم. كما أنها ذات أثر عميق في خلق الرنة الحزينة التي تتميز بها المقدمات الطللية، بما فيها المقدمات الغزلية المتصلة بها اتصالاً وثيقاً. فرنة الحزن والالم والحنين في تلك المقدمات، وتعابير اللوعة والبكاء، ما هي الا مظاهر أساسية وفنية لهذه التجارب الغزلية، التي بدت له "مظهراً من مظاهر رثاء النفس وهي تعاني أزمة خاصة بها فرضتها عليها طبيعة البداوة، وعدم الاستقرار"[٩].

فالواقع الاجتماعي والنفسي هو الذي "يكسبها شكلاً معيناً، أو مجموعة من الأشكال"[١٠]. ثم يقرر الدكتور عناد بأن ثورة العاطفة الوجدانية التي يكشف عنها الشاعر الجاهلي، في وقوفه على الاطلال، هي مصدر من مصادر الراحة النفسية التي "تلوذ بها نفس الشاعر في حالات كثيرة من السأم والوحدة والعزلة واضطراب العواطف"[١١]. فتجربة الحب كما بدت للباحث في المقدمات الغزلية والطللية، هي تجربة "ناقصة غير مكتملة"، بحكم الانتقالية التي فرضتها عليها طبيعة البداوة، وهي الانتقال الطبيعي والاجتماعي من مرعى الى مرعى. وقد لفت الباحث في ذلك الانظار الى ان الشاعر الجاهلي "عندما يصف ذاته في بعض ملاهيها ولهوها وشربها وفرحتها، إنما

يعكس بعض مخاوفها وقلقـــها من الوجود الغامض الذي يحيط بها"[١٢]. فالشاعر إذاً يتكلم على تجارب حية بصرخة الألم، فهو يشعر" ان الحب انتهى، وان اللهو مضى وان الشباب فني"[١٣]. ان ذلك كله يقود الباحث الى الاعتقاد، بأن "المقـــدمة الغزلية برنتها الحزينة، وصرخة آلامها الواضحة في مقـــاطعها الكثيرة، تدل على أن الشاعر الجاهلي إنما يتغزل ليرثي نفســـه، ويصور بعض وجوده القلق"[١٤]. فتجربته الشـــعرية في ذلك تخيم عليها تجربة التناهي المحقق، وان حياة الشاعر واقعة تحت جبر القضاء وظلم المنية، مثلما وصفها المستشرق الالماني فالتر بـــراونه، إذ يختار الباحث عباراته نفسها. والشأن نفسه عندما يرثي الشاعر الآخرين، فإنه إنما يرثي نفســـه، فتجربـــتا الغزل والرثاء في القصيدة العربية بالرغم من كونهما تجربـــتين مختلفتين، إلا إنهما تلتقيان في كثير من الجوانب. في مقـــدمة ذلك رنتهما الحزينة، وتأكيدهما على رثاء الشاعر لنفسه، وقلقه من مصيره، "لذلك صار الغزل والرثاء غرضاً واحداً وإن كانت محاولات النقـــاد القدماء تميل الى الفصل بينهما"[١٥].

## ٣ ـ الخصائص الجمالية والفنية في الأثر الأدبي:

لا شك في أن الدكتور غزوان الذي وفق في لفت الانتباه الى أهمية العامل النفسي في تحليل الخصائص الجمالية والفنية في الأثر الأدبي، وتعليل الظواهر الأدبـــية في ضوء ذلك، فإنه يدعو الى استثمار أبحاث التحليل النفسي، والعلوم النفسية والاجتماعية، في البحث عن المعاني الخبيئة في التجربة الشـــعرية، أو في تجارب النص عموماً، أي المضامين الكامنة وراء المعاني الظاهـــرة، لا في دلالتها النفسية على صاحبها الشاعر فحسب، بـــل في دلالتها على القيم السائدة في المجتمع، وهو في ذلك، إذ يقـــصر تناوله على تجربـــة الغزل والرثاء، فإنه يمهد لذلك بـــإمكانية التناول لأغراض أخرى، كما حاول أن ينحو ذلك المنحى في استقصائه لظاهرة التمرد عند الشاعر الخطيأة، أو إشاراته الغنية عن بعض الدلالات النفسية عند الشعراء الجاهليين.

فالباحث يرى أن مادة العمل الفني لا تنبع من العمل الأدبي نفسه فحسب، بل إنه يربط التجربة بـــثلاثة أمور متغيرة، هي: الوسط الاجتماعي، وشخصية المبدع، واللغة. ويحدد منهجه في دراسة التأثير في الرؤية والخصائص الفنية لهذه الأمور في التجربة الأدبـــية. لذا فإن الاتجاه النفســـي في تناول النص الجاهلي، أو الأثر الأدبي الذي يقترحـــــه الدكتور غزوان يريد له أن يكون جزءاً مندمجاً في عملية نقدية أوسع أو أشمل، وليس بـــديلاً عن النقد الأدبي، كما سنرى في عرض ذلك.

وقد طبق الدكتور عناد منهجه هذا، على المقدمات الطللية والغزلية وقصائد الرثاء في القصيدة العربية الجاهلية، وحـــاول استكناه دلالاتها النفسية. فالباحث كما يبـــدو لم يقـــف عند النصوص التي تناولها، كما وقف آخرون في تفسير علاقة النص الأدبي بمنشئه فقط، محاولين تفسير علاقة النص بمرض الشاعر، أو أمراضه النفسية الأخرى، وإنما كان يســـعى الى أن يتجاوز ذلك الى تسليط الضوء على طبيعة العلاقة بين النص وصاحبه، عندما تكون هذه العلاقة أحد المســـانح التي تؤمن التعبـــير عن الخيوط، أو العلاقات التي تربط الشـــاعر بماضيه، وحـــاضره ومجتمعه. فالظروف والأحوال النفسية ليســـت إلاّ من قبـــيل الفرص التي تســـمح للشـــاعر أو تمكنه من خلق الأثر الأدبي، ولكنها لا توفر المادة التي يصنع منها هذا الأثر[١٦].

فالشاعر الجاهلي بالرغم من أنه كان يهيئ الأجواء النفسية لقول الشعر، إلاّ ان تلك الأجواء لا توفر له المادة الشعرية التي يقولها، ولا رنتها، سواء أكانت حزينة أم مفرحـــة، وعلى هذا الأساس فان تناول الباحث كان تناولاً يمتاز بالحدة وإطالة النظر الى النص الشعري لتتبع خصائصه الفنية والجمالية، بالرغم من أنه لم يقف طويلاً عند نصوص عديدة من الشعر الجاهلي لتعميق

الأفكار التي استنتجها بشأن دوافع الرنة الحزينة في مقاطع الغزل، التي لا تبدو في بعضها رثاء من الشاعر لنفسه، أو تعبيراً وجودياً عن قلقه، إذ لو كانت كذلك لانتفت تلك المظاهر الحزينة من قصائد الغزل الأخرى في العصور التي جاءت بعد الاسلام، وهو أمر لم يكن قد حدث، كما لم تتغير طبيعة الرنة الحزينة، وحالات الشكوى والألم في النصوص الغزلية في الشعر العربي الحديث، فضلاً عن أن محاولة(الباحث تأكيد علاقة التشابه بين المرثاة الغزلية في الأدب اليوناني، أو في الأدب اللاتيني، وآداب الأمم الأوربية الحديثة يعطينا مسوغاً هوأكثر دلالة على صعوبة ارجاع رنة الحزن والألم الى جوانب وجودية، في القلق والتناهي عند الشاعر الجاهلي. إذ حاولت بعض الدراسات العربية الحديثة تفسير كثير من جوانب هذا القلق ودفعها الى الايغال والتحامل على القصيدة الجاهلية من خلال فرض آراء وأفكار وصفت القصيدة العربية الجاهلية بالقصور والسذاجة. والشأن ذاته فيما يتصل بالشاعر الجاهلي. وتبقى محاولة الباحث في تفسير رنة الحزن،وما تعبر عنه من أغراض نفسية واجتماعية سادت اغلب المقاطع الغزلية والطللية في القصيدة الجاهلية، محاولة رائدة، وهي كما تبدو قد استعدت تلك الرنة الحزينة من بكائية الطلل فضلاً عن طبيعة تجربة الحب في القصيدة العربية الجاهلية، التي اعتقد الباحث بأنها كانت تجربة غير مكتملة، نتيجة لطبيعة الواقع البدوي، وتنقل الشاعر أو سرعة هذا التنقل الذي لم يجعل تلك التجربة تحقق نهايتها.

فالبحث في هذه الرنة الحزينة في القصيدة العربية في عصورها الحضارية، يعني رصد تجربة الحب، أو تجربة هذه الظاهرة، " في إطارها الوجداني ــ وهو ذاتي محض ــ وإطارها الاجتماعي ــ وهو عام مرتبط بزمان ومكان يحددان طبيعة تلك العلاقة ــ في ظروف نفسية واجتماعية متباينة[17]، فضلاً عن أهمية ذلك في الوقوف على قيمة هذه التجربة، التي يجعلها النقد الحديث مستمدة من قدرة الشاعر على ان يجسد في نتاجه التجربة المعينة. وان يمثلها أصدق تمثيل[18].

ولهذا بدت محاولة الدكتور عناد غزوان جادة، لأنها دراسة نفسية وفنية، كما أنها حاولت تتبع تطور "المرثاة الغزلية" ــ وهو المصطلح الذي اطلقه على غرضي الغزل والرثاء ــ في الشعر العربي، ومحاولات نضجها في عصور الشعر قديماً وحديثاً.

## ٤ ـ التجربة الشعرية

وللدكتور غزوان فضلاً عن ذلك محاولات أخرى، توضح اتجاهه النفسي، الذي أراد له ان يكون إسهاماً في النقد الأدبي، وليس تطبيقاً لنظريات علم النفس، أو شرحاً لها. كما أراد له أن يكون جزءاً من عملية نقدية أوسع، تسلط الضوء على التجربة الشعرية أو الأدبية. ونجد هذا التأكيد في كتبه الأخرى ولا سيما كتابيه "مستقبل الشعر وقضايا نقدية" نشره عام ١٩٩٤م، و" أصول نظرية نقد الشعر عند العرب ومدارات نقدية"، نشره عام ١٩٩٨م. ففي الكتابين خلاصات نظرية وتطبيقية لملامح إتجاهه النقدي الذي يولي العامل النفسي في تحليل الخصائص الجمالية والفنية في القصيدة الشعرية أهمية من خلال النفاذ الى تجربتها الشعورية، ودلالت صورها الشعرية.

فالأدب كما بدا للباحث هو "مجموعة من التجارب الذاتية والعامة تخلقها مؤثرات البيئة الأدبية على اختلاف ابعادها، وتباين دلالاتها وعمق تأثيرها"[19] وان أية محاولة للنفاذ الى أعماق هذه التجربة يستدعي"التشريح الأدبي"، الذي يمتاز بأنه"دراسة دقيقة للتجربة تنفذ الى أعماقها، مستخلصة من خلال الموازنة والاستقراء قيمة التجربة الفنية والاجتماعية[20]. فالقيمة الفنية والنفسية للنص الشعري، هي إحدى خفايا أو

مظاهر التجربة الشعرية، لأن قيمة النص ستكون على "قدر التجربة وتمثيلها أصدق تمثيل"[٢١]. وقد دفعت هذه المنطلقات الباحث الى ايلاء اهتمام خاص ببواعث التجربة الشعرية، وأشكال دراستها، وقد تابع في بعض آرائه الإشارات التي تضمنها الموروث النقدي القديم، ولا سيما آراء عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) حول الصورة الشعرية، والجوانب الرمزية والانفعاليةفي اللغة التي تصنع الصورة في العمل الأدبي[٢٢]. ومن المحدثين آراء الناقد الانكليزي إ.أ ريتشاردز عن التجربة الشعرية. فالدكتور عناد غزوان مع إيمانه بأهمية التحليل، أو التشريح للنص من الداخل، فإنه لا يجد حرجاً أو ضرراً من دراسة "الذات الشاعرة، كما تصورها القصيدة، لا كما يصورها الواقع الخارجي لها"[٢٣]. ذلك لما للشاعر من أهمية ليس في بناء التجربة الشعرية التي تنقل أحاسيسه، التي عاش فيها وتأثر بها وانفعل معها الى جمهوره كي يشاركه احساسه وانفعاله، وتأثيره، بل ايضاً في تعامله الخاص مع اللغة[٢٤]. وهو ما يخلق للشاعر قدرته على توصيل تجربته الى المتلقي، والتأثير فيه بشكل يثير فيه تجربة مشابهة لتجربة الشاعر الأولى. لذا عدّ النتاج الأدبي "بلا توصيل بأنه جسد ميت، أو ربما مجرد كلمات ميتة، على أرصفة الاهمال والنسيان"[٢٥]. وفي ضوء هذا التصور يرى الباحث أن علاقة الشاعر بجمهوره هي"علاقة تأثير وتأثر، ونتيجة خلق ثالث جديد ينشأ من التفاعل القائم بين عنصري التأثير والتأثر"[٢٦]. فالتقويم النقدي في ضوء مفهومي التجربة الشعرية، والتوصيل، هو تقويم داخلي نابع من النص بتشكيله اللغوي، وتجربته الشعورية. فالاعجاب والتقدير أو الانبهار مصدره القصيدة" وهي التجربة الأولى المؤثرة التي خلقت الاستجابة عن طريق التأثير"[٢٧]، وإذا كانت القصيدة فناً لغوياً، فان اللغة هي إحدى مرتكزات الشاعر في نقل تجربته، لهذا عدت اللغة في بعدها النقدي والشعري عند الباحث" مقياساً نقدياً مهماً في الموازنة بين قدرات الشاعر على التوصيل"[٢٨].

فاللغة الشعرية في رأي الباحث تشكل محوراً رئيساً في دراسة التوصيل. أما الصورة الشعرية في بعديها الفني والنفسي فهي تحمل الذهن على"الاقتراب من فهم، واستيعاب الفكرة الأصلية للنص"[٢٩]. فاستيعاب التجربة الشعرية في ضوء هذا الفهم، يعتمد على قدرة الصورة، أو مجموعة الصور في خلق الاستجابة بين فكرة التجربة، ومتلقيها، لأن غرض أية صورة هو تكثيف الشعور، أو الاحساس الذي تثيره أية فكرة تسعى التجربة الشعرية من خلال صورها الى تجسيده حساً وفكراً في آن واحد"[٣٠].

لذا بدا للباحث ان"كشف العلاقة بين الشاعر، ولغة التعبير عن أفكاره وعواطفه ومشاعره هو القاعدة التي تعتمدها الصورة بوصفها مصطلحاً نقدياً في تحقيق الاستجابة الجمالية"[٣١]. كما أنها في الوقت نفسه مصدر مهم من مصادر التجربة الشعرية، ولا سيما عند تحليلها، وبذلك يكون استعمال مصطلح الصورة عنده مرادفاً للفكرة، والرؤية في آن واحد. فالشاعر يحاول بوساطة الصورة توصيل فكرته وتجربته الجمالية، أما ميدانه التطبيقي فقد اتجه فيه الى دراسة الواقع النفسي والاجتماعي في التجربة الشعرية عند الخطيأة، إذ حاول من خلال ذلك اضاءة الأخبار والروايات التي تحدثت عن سيرة الخطيأة الشاذة، سواء في هجاء أمه، وأهله، أو في هجائه العام.

وقد وجد الباحث، ان الخطيأة في تجربته الشعرية كان يعاني من "عذاب نفسي شديد تجلى في شعره الذي رسم لنا أكثر من صورة وصورة لمعنى التمرد الاجتماعي والسخرية والحرمان"[٣٢]. فدراسة الواقع النفسي في تجربة الخطيأة الشعظية كما بدت للباحث قد تغيّر كثيراً من الأخبار، والرويات التي ارتبطت بسيرته. فالعامل النفسي والاجتماعي يكشف لنا ان الخطيأة كان يعاني من عذاب نفسي شديد نتيجة حرمانه من

النسب، مما دفعه الى النقمة على عصره، والتمرد على بيئته"، والسخرية من بيته الممثل بأمه وأبيه المجهول"[٣٣] كما ولّد له احساسه بنسبه المضطرب عقدة نفسية ظل صداها يتكرر في معظم تجاربه، التي هجا بها بيته بما في ذلك اخوته. فالخطيأة في حقيقة تمرده وسخريته، أو هجائه، إنما يصدر عن شعور طبيعي سوي في نظر نفسه،"لأنه هو وليس غيره موضوع المأساة"[٣٤] فالصور الساخطة المتمردة في شعره لا يمكن فصلها عن معنى الصراع الذاتي والاجتماعي للشاعر الذي كانت تلاحقه عقده النفسية من نسبه، ومن تسميته بالخطيأة، أو من فقره. فكل هذه العيوب هي التي عملت على تعقيده. أما العيوب التي لفقت عليه، أو تنكرت لواقعه النفسي، وظروف نشأته الأولى، فانها لا تقيم الدليل على حقيقة نفسية الخطيأة التي كان لها تأثيرها الكبير في طبيعة تجربته الشعرية، واسلوبه الساخر في هجائه، الذي هو أيضاً لا يمكن بأية حال من الأحوال فصله عن شخصية الشاعر، بكل أبعادها، من احساس وعاطفة، وذهن ومزاج وذوق وطموح وثقافة"[٣٥].

وبذلك يخلص الدكتور غزوان الى تأكيد كثير من الحقائق النفسية عن الشاعر، التي يرى انه لا غنى عنها للناقد في تتبع التجربة الشعورية، أو قدرات الشاعر في التعبير من حيث صياغة المعاني والألفاظ.

يتضح مما تقدم ان الدكتور عناد غزوان في اتجاهه النفسي يهتم بالأثر الأدبي، ويحاول من خلال ذلك الاهتمام كشف وقائع، أو علاقات لم يكشف عنها النقاد، لأنها تنتمي الى الشخصية الشعورية واللاشعورية للشاعر، وهو حينما يحاول اكتشاف هذه الوقائع والعلاقات فانه إنما يقرر انها تفعل فعلها في سيرة الشاعر وسلوكيته العامة والابداعية. فهو يقوم بدراسة نقدية للأدب، وليس بتحليل نفسي لشخصية المبدع. فهو كما اسلفنا يحرص على ان يربط التجربةالشعرية بثلاثة أمور رئيسة هي الوسط الاجتماعي، وشخصية المبدع من خلال تجربة النص، واللغة الشعرية. وهو في ذلك ينحو منحى قريباً من منحى الدكتور طه حسين في تحليله للتجربة الأدبية في إطارها الاجتماعي والنفسي، ومن خلال بنائها اللغوي أو التصويري، كما يرى الباحث أن هذه العملية هي التي تقود أيضاً الى تحديد ملامح الشخصية الأدبية، ومواقفها انطلاقاً من إيمانه بأن"شعر كل أمة ينطلق في بنائه الفني، أو شكله، أو لغته وصوره وموسيقاه، من بيئته التي يولد فيها، ويترعرع وينشأ في أحوالها النفسية والاجتماعية"[٣٦].

## الهوامش

١ــ أشرف الدكتور عناد غزوان على (٣٥) اطروحة دكتوراه، و(٣٦) رسالة ماجستير، وناقش ما يزيد على(٤١٥)رسالة جامعية، وألف(٢٧)كتاباً موزعة بين فنون الأدب والنقد والترجمة، وأشرف على مراجعة(٣١)كتاباً مترجماً. ينظر: أسفار في النقد والترجمة: ١٧٢ــ١٨١.

٢ــ المرثاة الغزلية في الشعر العربي: ٥.

٣ــ م، ن: ٥.

٤ــ م، ن: ٥.

٥ــ م، ن: ٣.

٦ــ م، ن: ٦.

٧ــ م، ن: ٧.

٨ــ م، ن: ٨,٩ــ المرثاة الغزلية في الشعر العربي: ٨.

١٠ــ م، ن: ٨.

١١ــ م، ن: ٨.

١٢ــ م، ن: ٨ــ٩.

١٣ــ م، ن: ٩.

١٤ــ م، ن: ٩.

١٥ــ م، ن: ٩.

١٦ــ ينظر: فلسفة تأريخ الفن: ٨١.

١٧ــ المرثاة الغزلية في الشعر العربي: ١٠

١٨ــ أصول نظرية نقد الشعر عند العرب ومدارات نقدية: ٣٥.

١٩ــ م، ن: ٢٥.

٢٠ــ ينظر: المرثاة الغزلية في الشعر العربي: ٥٨.

٢١ــ ينظر: أصول نظرية نقد الشعر عند العرب ومدارات نقدية: ٣١.

٢٢ــ مستقبل الشعر وقضايا نقدية: ٢١.

٢٣ــ ينظر: م، ن: ٣٩.

٢٤ــ مستقبل الشعر وقضايا نقدية: ٤٠.

٢٥ــ م، ن: ٤٠.

٢٦ــ م، ن: ٤٠.

٢٧ــ م، ن: ٤٢.

٢٨ــ م، ن: ١١٧.

٢٩ــ م، ن: ١١٧.

٣٠ــ أصول نظرية نقد الشعر عند العرب ومدارات نقدية: ٣٦

٣١ــ م، ن: ٣٨

٣٢ــ أصول نظرية نقد الشعر عند العرب ومدارات نقدية: ٣٦

٣٣ــ ينظر: م، ن: ٤٨

٣٤ــ م، ن: ٥٦.

٣٥ــ اعتمدنا في تحديد الخلاصة الآتية عن مقدمات تأويل المعنى الشعري عند الدكتور عناد غزوان من محاضرة القاها في اتحاد الادباء والكتاب العراقيين بعنوان (ترويض النص وسلطة اللغة) بغداد ١٩٩٨.

٣٦ــ ينظر: أصول نظرية نقد الشعر عند العرب ومدارات نقدية: ٥٦.

## المصادر والمراجع


١ــ الابداع العام والخاص، الكسندر روشكا، ترجمة د. غسان عبد الحي أبو فخر، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس لأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة(١٤٤) ١٩٨٩م.

٢ــ الابداع في الفن، قاسم حسين صالح، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٨٨م.

٣ــ أسفار في النقد والترجمة، د. عناد غزوان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط١، ٢٠٠٥م.

٤ــ أصول نظرية نقد الشعر عند العرب ومدارات نقدية، د. عناد غزوان إسماعيل، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، الجمهورية اليمنية، ط١، ١٩٩٨م.

٥ــ ذات الكاتب الابداعية وتطور الأدب، م. فراتشينكو، ترجمة نوفل نيوف وعاطف أبو حمزة، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م.

٦ــ فلسفة تأريخ الفن، هوزر إيرنولد، ترجمة رمزي عبدة جرجيس، الهيأة العامة للكتاب والأجهزة العلمية، طبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٨م.

٧ــ في النقد الحديث، دراسة في مذاهب نقدية حديثة، د. محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، الكويت، ط٣، ١٩٨٠م.

٨ــ المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (١٦٨)، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، تشرين الثاني ١٩٧٧م.

٩ــ المرثاة الغزلية في الشعر العربي، د. عناد غزوان اسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٢م.

١٠ــ مستقبل الشعر وقضايا نقدية، د. عناد غزوان اسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٤.

١١ــ مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ديفيد ديتش، ترجمة محمد يوسف نجم، مراجعة احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م.

١٢ــ الموجز في التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة سامي محمد علي، وعبد السلام القفاش، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م.

١٣ــ النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، سيد قطب، منشورات دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م.

١٤ــ النقد الأدبي ماذا يمكن ان يفيد من العلوم النفسية الحديثة(بحث)، د. مصطفى سويف، مجلة فصول، الهيأة المصرية العامة للكتاب، مجلد٤، عدد١، ١٩٨٣م.